محاضرة 01

إطار مفاهيمي عام للحضارة

01/ مفهوم الحضارة:

في اللغة العربية الحضارة يقابلها مصطلح البداوة، حيث تعني البداوة حياة التنقل والترحال وعدم الاستقرار في مكان واحد، أما أهل المدن والقرى فقد سكنوا في مكان واحد مجتمعين فاستقروا فيه، وبالتالي فهم أهل حضر، فالحضارة تنشأ وتتطور في ظل الاستقرار الذي يتيح للناس البحث والعمل والتطور في مجالات مختلفة مادية وفكرية وروحية. وكلمة حضارة في اللغات الأجنبية مشتقة من الكلمة اللاتينية Civis ومعناها مواطن Civitas وتعني ساكن المدينة أو التمدن Civitates ، واشتق منها مصطلح الحضارة Civilisation.

فالحضارة هي مجموعة العقائد والأفكار والتعاليم والشرائع والنظم، وكذا العادات والتقاليد والقوانين السائدة في أمة من الأمم، وتتوهج هذه الحضارة من خلال إنتاجها المادي والفكري والعمراني الذي يسجله التاريخ، فالحضارة تعني كل مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والأخلاقي والمادي والعمراني لأهل المدن. ويمكن القول بأن الحضارة هي طريقة ونموذج لحياة المجتمعات البشرية في شكل متمدن، يتم التمييز بينها من خلال خصائصها التي تتضح في إنتاجها وبنائها المادي والمعنوي، كشكل البناءات الهندسية للمساكن والمعالم، وغزارة الإنتاج الفني والأدبي والثقافي، ومستوى رقي المبادئ والقيم الأخلاقية والروحية، ودرجة تطور وتنظيم هيكل وشكل السلطة السياسية وقوة قوانينها ومؤسساتها، ودرجة تطور إنتاجها العلمي والزراعي والصناعي والحرفي والتقني ....الخ.

ومنه فان كل مجتمع يعيش حضارته حتى وان كانت بمستوى متدني لم يسجله التاريخ، فالحضارة ليست قاصرة على عصر دون عصر آخر فلكل عصر ملامح معينة تميزه عن غيره، ولكل منطقة حضارة تختلف عن الحضارات الأخرى سواء القريبة أو البعيدة عنها جغرافيا، حتى وان كانت في حقبة زمنية واحدة، فالحضارة صفة لسيقة بالمجتمع البشري، حيث أن لكل مجتمع حضارته بغض النظر عما اذا كانت نمطا بدائيا أو متطورا، وبغض النظر أيضا عن طابعها المميز لها سواء كان طابعا دينيا روحيا أو زراعيا أو صناعيا ...الخ . فالحضارة نتيجة حتمية للتجمع البشري والعمران، ولكل مجتمع نمط حضاري أو سمات حضارية مختلفة

عن غيره، وذلك رغم اختلاف مستوى التطور الحضاري ومستوى التأثير الخارجي في الحضارات الأخرى.

02/ أصول نشأة الحضارات:

لقد نشأة الحضارات نتيجة الصراع الأزلي بين البشر وقوى الطبيعة، فقد عمل الإنسان منذ وجوده الأول على صنع واكتشاف وسائل وأدوات ومناهج تساعده على قهر الطبيعة وتحسين ظروف حياته والحفاظ على بقائه، فقد عرفت العصور الحجرية القديمة صفة التوحش والهمجية، ولكن العصور التي شهدت حركة الاستيطان في الأراضي المنبسطة وعلى ضفاف الأودية والأنهار، كانت قد شيدت قرى ومدن تزايد فيها عدد السكان، فنشأ لهذه الضرورة النظام وأنشأ نوع من الحكم المستقر، فخضع الإنسان لنوع من النظام والسيطرة للحكومة القائمة، وتعتبر العراق مهد الحضارة الإنسانية وأول من حمل لواء المدنية ومشعل الثقافة، وأغلبية الباحثين في التراث والحضارات يعتبرون بان حضارة السومريين (في العراق) هي أولى الحضارات في التاريخ وعمرها يقارب خمسة آلاف سنة، وتعتبر الحضارات سلسلة متصلة الحلقات يؤثر السابق منها على اللاحق، فما من حضارة وجدت إلا بعد أن استوعبت الحضارات الأخرى فأخذت منها ومن ثمارها وأضافت اليها حتى وان كانت لكل منها خصائصها ومميزاتها المختلفة.

01- حضارة بلاد الرافدين/ العراق (الحضارة السومرية): حوالي 5000 الى 3500 قبل الميلاد، نشأة نتيجة استقرار عدد من السكان في جنوبي نهر سومر ، تطورت فيها الزراعة والصيد وبناء السدود والقنوات واخترعوا نوع من الكتابة وطرق التصوير على الألواح، وبناء القصور والمعابد.
02- الحضارة الفرعونية (الحضارة المصرية القديمة): 3100 قبل الميلاد، تطورت فيها الزراعة والكتابة والتصوير في ورق البردي، وكذا بناء المعابد والأهرامات وتحنيط الموتى والتجارة.
03- الحضارة الهندية: 2300 قبل الميلاد، اشتهرت بالزراعة وبناء المدن والتجارة
04- الحضارة الصينية: من 3000 الة 1600 قبل الميلاد، اشتهرت بزراعة الحرير وصناعة النسيج والتجارة.
05- الحضارة اليونانية (الاغريقية): من 1150 الى 776 قبل الميلاد، اشتهرت ببناء المدن والعلوم (الفلسفة) والرياضة (اول دورة للألعاب الأولمبية).
06- الحضارة الرومانية: من 753 الى 476 قبل الميلاد ، رغم ان تاريخ بدايتها غير متفق عليه، تميزت بخوض الحروب والتوسع والسيطرة على أجزاء كبيرة من العالم، كما تميزت بالتشييد العمراني المتطور.

07- الحضارة الاسلامية: من 623 الى 1924 ميلادي، وهي أطول حضارة عمرا ، تميزت بالتطور في شتى المجالات المادية وغير المادية (كما سيأتي في المحاضرات التالية).

فكل ما استخدمه الإنسان من أفكار ومناهج ووسائل وأدوات من مستواها البسيط الى مستواها المعقد والمركب، هي في النهاية عبارة عن معارف وعلوم استخدمها لإخضاع الطبيعة وتحسين مستوى معيشته، وهذا ما أصطلح عليه تجربة أو معرفة أو تقنية تم توظيفها من طرف الإنسان ضد الطبيعة القاسية، وهي في النهاية عبارة عن علم وبناء معرفي، وهو ما يجعلنا نقول بان الحضارة لا يمكن ان تقوم دون تمجيد العلم والاهتمام بتطوير القدرات الفكرية والمعرفية ومناهجها. فالعلم هو جوهر قيام الحضارة من خلال تطور الإنسان ورقيه الروحي والفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي، وهو الجانب المعنوي للحضارة الذي يكون أساسا لتطور الجانب المادي من بناء اقتصادي وتطور عمراني وصناعي وطبي وتكنولوجي ...الخ. غير أن المهتمين بدراسة الحضارة اختلفوا في مقاييس تصنيف الحضارات، بين من يركز على الجوانب المادية، ومن يركز على الجوانب الغير مادية في الحضارة ، ومن أهم هذه الاتجاهات ما يلي:

- **الاتجاه المادي**: يرى أنصار هذا الاتجاه بأن مقاييس الارتقاء إلى الحضارة هو القدرة على توظيف الإمكانيات المتاحة لإحداث تقدم مادي وإنتاج مادي لرفاهية الإنسان.
- **الاتجاه الروحي**: وهو الذي يرجع مقياس الحضارة الى الارتقاء في التفكير الغيبي ودرجة التدين والالتزام بقيم الحق والخير والسلوك الأخلاقي المتوافق مع تعاليم الدين.
- **الاتجاه الرومانسي**: ومقياس الحضارة عند هؤلاء هو درجة تسامي القيم النبيلة الغير مادية، والتي تتجاوز حدود الصراع والنزاع بين البشر.